

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة السادسة والعشرون

صديقي المستمع، بدأنا قبل لقاءين بدراسة الأصحاح الحادي عشر من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد بدأ في الأصحاح التاسع بمعالجة مشكلة علاقة الله ببني إسرائيل. فأكد أن المختارين من اليهود فقط يعتبرون من شعب الله، وأن الله مختارين من الأمم واليهود سيؤمنون بالمخلص المسيح. وأوضح الرسول بولس في الأصحاح العاشر أن غاية الناموس هي المسيح لكل من يؤمن به ربا. لكن اليهود رفضوا خلاص الله، فحجب الله وجهه عنهم. فهل هذا يعني أن الله رفض شعبه القديم للخلاص؟

بهذا السؤال بدأ الرسول بولس الأصحاح الحادي عشر، وأجاب كلا. لأن الرسول بولس نفسه كان إسرائيليا، لا بل كانت هناك بقية مختارة من اليهود آمنت بالمخلص المسيح، بينما رفضته الغالبية منهم. وهنا أوضح الرسول بولس أن رفض غالبية اليهود لخلاص الله، لم يمنع الله من أن يكمل خطته الأزلية بإعلان خلاصه لكل الأمم. وكشف الرسول بولس عن وجود زيتونة واحدة أي شعب واحد لله. قُطعت منها بعض الأغصان، وهم غالبية اليهود التي رفضت خلاص الله، وطُعمت فيها أغصان أخرى أي المؤمنون بالمسيح من أصل أممي.

ثم تابع الرسول بولس حديثه إلى المؤمنين بالمسيح من الأمم محذرا إياهم من الافتخار فكتب في العدد الثامن عشر قائلا: "فلا تفتخر على الأغصان. وإن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إياك يحمل." من طبيعة الإنسان أن يتباهى ويتفاخر. ولهذا حذر الرسول بولس المؤمنين بالمسيح من الأمم من التفاخر على اليهود. والسبب لأن الزيتون التي تشير إلى شعب الله كانت مقتصرة في الماضي على اليهود فقط.

لكن ألم يقطع الله بعض الأغصان من الزيتون، أي الغالبية من اليهود الذين لم يؤمنوا بالمخلص المسيح؟ أو لم يطعم الأمم لكي يصبوا أغصانا في الزيتون أي في شعب الله؟ أو لم يفضل الله بذلك الأمم على اليهود؟ لم تُخفَ عن الرسول بولس هذه التساؤلات فطرحها وأجاب عنها. فكتب في العدد ١٩ و ٢٠ قائلا: "فستقول قُطعت الأغصان لأطعم أنا. حسنا من أجل عدم الإيمان قُطعت وأنت بالإيمان ثبتت. لا تستكبر بل خف." الموضوع إذن هو موضوع إيمان. لقد قُطعت هذه الأغصان لعدم إيمانها

بالخلاص الذي قدمه الله. وكذلك الأمم فقد قبلهم الله وطعمهم بالزيتونة بسبب إيمانهم، وعليهم في هذه الحالة أن لا يتكبروا بل يخافوا.

وتابع الرسول بولس موضحاً فقال في العدد ٢١ و ٢٢: "لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فعله لا يشفق عليك أيضاً. فهذا لطف الله وصرامته. أما الصرامة فعلى الذين سقطوا. وأما اللطف فلك إن ثبت في اللطف وإلا فأنت أيضاً ستقطع." لقد كان بنو إسرائيل قديماً كشعب من نسل إبراهيم في الجسد، أغصانا في الزيتونة. ورغم ذلك فإن الله لم يُشفق على معظمهم فقطعهم من الزيتونة لعدم إيمانهم. فهل تختلف معاملته لهؤلاء الذين طعمهم أغصانا في الزيتونة من الأمم؟ من الواضح أن الزيتونة (أي شعب الله) يجب أن تحتوي فقط على المؤمنين. وكما قطع الله أولئك الذين رفضوا الإيمان بالرغم من كونهم محسوبين على شعب الله، فإن الرسول بولس يحذر أيضاً كل من لا يثبت في الإيمان من الأمم بأن الله سيقطعه.

وعلينا أن نلاحظ أن الرسول بولس لا يتحدث هنا عن قطع الله للمؤمن الحقيقي بالمسيح، لأن الذي يصبح من أولاد الله لن يطرده الله خارجاً. لكن الرسول بولس يحذر مدعي الإيمان الذين لم يختبروا نعمة الله حقاً، ودخلوا إلى الكنيسة خلسة. وهناك أعداد لا تحصى من البشر تدعي أنها مسيحية، لكنها لم تختبر خلاص الله ولا عرفت قوة تحريره من الخطية. أجل إن هؤلاء هم الذين قصدهم الرسول بولس. أي كما قطع الله اليهود الذين لم يؤمنوا بخلاص الله في المسيح، لن يستطيع هؤلاء من مدعي المسيحية أن يثبتوا في الإيمان، ولهذا يحذرهم الرسول بولس من القطع من قبل الله.

ثم تابع الرسول بولس كلامه في العدد الثالث والعشرين، فتحدث عن اليهود الذين قطعهم الله فقال: "وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سيُطعمون. لأن الله قادر أن يطعمهم أيضاً." إن الله لا توجد عنده محاباة، لأنه لا فرق لديه بين يهودي وأمي، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. فإذا عاد أولئك اليهود الذين قطعوا وآمنوا بالمخلص المسيح، فإن الله لا بد أن يطعمهم مرة أخرى في الزيتونة.

ودعم الرسول بولس حجته فتابع في العدد الرابع والعشرين قائلاً: "لأنه إن كنت أنت قد قطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة في زيتونة جيدة فكم بالحري يُطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة." أراد الرسول بولس القول: لقد طعم الله الأمم وجعلهم من أولاده وشعبه، بالرغم من أنهم كانوا بعيدين جدا عنه ولا يعرفونه. فكم بالحري يعود ويُطعم هؤلاء اليهود الذين كانوا سابقاً محسوبين على شعب الله وأغصانا في الزيتونة، إذا عادوا آمنوا بالمخلص المسيح. إذن على جميع المؤمنين المسيحيين الحقيقيين سواء كانوا من أصل أممي أو يهودي أن لا يفتخروا أو يتكبروا بأنفسهم. لكن أن يلقوا رجائهم على نعمة الله التي حررتهم وجعلتهم من شعب الله.

مستمعي العزيز، لقد بدأ الرسول بولس موضوعه عن علاقة الله ببني إسرائيل في الأصحاح التاسع. فأكد مبدأ هاماً، وهو أن ليس كل يهودي من نسل إبراهيم يعتبر من شعب الله، بل المختارون منهم فقط. ثم أوضح في الأصحاح العاشر أن غاية الناموس أو الشريعة هو المخلص المسيح لكل من يؤمن. وأن الإنسان يخلص باعترافه وإيمانه بالرب يسوع المسيح وقيامته من بين الأموات. وأن إسرائيل قد رفض خلاص الله. ثم تساءل في الأصحاح الحادي عشر هل هذا يعني أن الله رفض شعبه القديم بالنسبة للخلاص. فأكد وجود بقية مختارة من اليهود آمنت بالمخلص المسيح. وألمح أنه سيأتي يوم يكتمل فيه عدد المخلصين منهم عندما تحدث عن ملئهم. وكان لابد له أن يصل إلى نتيجة يختم بها موضوعه.

ولهذا كتب في العدد الخامس والعشرين قائلاً: "فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر. لنلا تكونوا عند أنفسكم حكماً. أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم." علينا أن نوضح أولاً ماذا قصد الرسول بولس بتعبير "إسرائيل" في هذه الآية: هل هو يشير إلى إسرائيل بحسب الجسد؟ أم إلى إسرائيل بحسب الاختيار فقط، كما حدده الرسول بولس في الأصحاح التاسع؟ فإذا كان المقصود هو إسرائيل بحسب الجسد فإن هذا يخالف المبدأ الذي وضعه الرسول بولس في بداية مناقشته لهذا الموضوع الهام، وتسقط بالتالي كلمة الله بحسب تعبيره. (راجع رومية ٩: ١-١٦) هذا المبدأ هو: "أن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد. بل بإسحق يدعى لك نسل. أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلًا." (رومية ٩: ٦-٨) وعلى هذا الأساس نستطيع القول وبكل ثقة، أن المقصود بإسرائيل هنا هو إسرائيل بحسب الاختيار، وليس إسرائيل بحسب الجسد. ونتيجة لذلك فإن ما أراد الرسول بولس قوله، هو أن رفض إسرائيل الذي هو بحسب الاختيار، لخلاص الله هو رفض جزئي. أو أن عدم خلاص إسرائيل الكامل هو أمر مؤقت. إذ لا بد أن يكتمل بحسب خطة الله عدد المختارين من إسرائيل، وتعبير آخر يتحقق ملئهم.

أجل، لقد كشف لنا الرسول بولس هنا سرا مهماً، أي أمراً لم يكن معلناً في السابق. وهو أن قساوة إسرائيل، أي رفضهم لخلاص الله، هو رفض جزئي. إذ سيستمر إلى أن يدخل ملء الأمم. فما هو ملء الأمم؟ ملء الأمم كما يتفق معظم المفسرين هو اكتمال عدد المخلصين المختارين من جميع الأمم والشعوب. فسيأتي يوم يكتمل فيه عدد المؤمنين الحقيقيين في المخلص المسيح من جميع الشعوب. وعندها إذن كما ذكر الرسول بولس، ستنتهي قساوة إسرائيل أو اليهود، إذ يكتمل عدد المختارين منهم أيضاً. أي يكتمل عدد المؤمنين منهم بالمخلص المسيح، والذين أصبحوا من كنيسته ومن شعب الله.

ولهذا عاد الرسول بولس فكتب في بداية العدد السادس والعشرين قائلاً: "وهكذا سيخلص جميع إسرائيل." أي أن النتيجة ستكون هي اكتمال عدد المخلصين من إسرائيل أو اليهود، الذين سيقبلون خلاص الله ويؤمنون بالمخلص المسيح. أي اكتمال جميع إسرائيل الحقيقي المختار من قبل الله. وعلينا أن نلاحظ هنا أن الرسول بولس أكد أن خطة الله هي أن يكتمل عدد المؤمنين من

الأمم واليهود، إذ لا يوجد عند الله أي فرق. ولهذا نستطيع القول أيضا أن المقصود بـ "جميع إسرائيل"، هو إسرائيل الله، كنيسة المسيح الحقيقية، أي جميع المؤمنين بالمخلص المسيح، سواء كانوا أمما أم يهودا.

إضافة إلى قراء الموقع الإلكتروني: هناك عدة ملاحظات يجب أن نسجلها هنا.

أولاً: أن الرسول بولس لم يقل: " أن المساواة قد حصلت مؤقتا لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم. وعندئذ سيخلص جميع إسرائيل". إذ أن هذا المعنى يفيد رفض إسرائيل المؤقت لخلاص الله، والذي يرتبط بفترة زمنية معينة. هذه الفترة التي يكون فيها الله يتعامل مع الأمم. وأن رفض إسرائيل سينتهي بعد هذه الفترة الزمنية، أي عندما يتم ملء الأمم. وعندئذ يتم خلاص جميع إسرائيل، في فترة زمنية منفصلة مختصة بهم. لكن الرسول أكد قائلا: أن المساواة قد حصلت جزئيا لإسرائيل، والسبب لأن عدد المختارين من إسرائيل لم يكتمل بعد. لكنه سيكتمل مع اكتمال عدد المختارين من الأمم، وهكذا (وليس عندئذ) أي بهذه الكيفية سيخلص جميع إسرائيل. واضح هنا أن الرسول بولس أراد إعلان هذا السر، أنه بالرغم مما يبدو أنه رفض غالبية إسرائيل لخلاص المسيح، فإن كل إسرائيل الحقيقي لا بد أن يخلص في النهاية. وهو بهذا أراد طمأنة المتسائلين والمشككين حول موضوع خلاص إسرائيل. وهنا نستطيع القول أيضا بكل تأكيد: أن جميع إسرائيل، المكوّن من الأمم واليهود، الذين هم شعب الله الحقيقي، الأغصان في الزيتون الواحدة، سيخلص.

ثانياً: من هو الإسرائيلي؟ عالج الرسول بولس مشكلة هامة كانت قائمة في عصره، وهي كيف أن هؤلاء اليهود الذين كانوا معتبرين من شعب الله، ولهم المواعيد، ومنهم قد أتى المسيح، قد رفض معظمهم المسيح. فبين بالحجة القاطعة والبرهان الأكيد، أن ليس كل من هو إسرائيلي بالجسد، هو إسرائيلي حقا، أو إسرائيلي بنظر الله، لكن هناك مختارون منهم. هؤلاء المختارون هم إسرائيل الحقيقي، أي هم شعب الله. وأنه لا بد أن يأتي يوم يخلص فيه جميع إسرائيل الحقيقي المختار من قبل الله. ويصبحون مع المؤمنين بالمسيح من الأمم شعبا واحدا لله، لا وجود لأي فرق بينهم.

لكن ماذا عن أولئك الأمم الذين تهوّدوا بعد انتشار المسيحية؟ عندما كان يشير الرسول بولس إلى إسرائيل سواء بحسب الاختيار أم بحسب الجسد، لم يكن في ذهنه أبدا أولئك الذين سيتهوّدون بعد عدة قرون من بدء المسيحية وانتشارها. فبعد أن بدأت المسيحية، لم يعد هناك أممي ويهودي. استنادا إلى هذه الحقائق الواضحة نستطيع القول أن الرسول بولس لم يكن يقصد أو يشير إلى أولئك الأمم الذين سيتهوّدون بعد عدة قرون من انتشار المسيحية. لأن هؤلاء لا علاقة لهم بإسرائيل حسب الجسد أصلا، وليسوا من نسل إبراهيم أو حتى من نسل سام، بل هم من نسل يافث. وأنا أقصد هنا شعب الخزر الذي كان يقطن في جنوب روسيا وعلى حدود إيران، والذي تهوّد في القرن السابع الميلادي، والذي أصبح يعرف بيهود الأشكناز. وقد تشتت هؤلاء في أوروبا بعد أن هاجمهم

روسيا القيصرية. وهم يهود أوروبا وأمريكا اليوم، الذين لا علاقة لهم بإسرائيل القديم لا من قريب أو بعيد سوى أنهم تهودوا. ومن هذا الشعب خرجت الحركة الصهيونية، والتي هي حركة قومية علمانية، لا علاقة لها بالدين اليهودي. وهي التي أنشأت دولة إسرائيل في فلسطين. فهل يعقل وهل من المنطقي أن يكون لهؤلاء علاقة بما كتبه الرسول بولس في هذه الأصحاحات الثلاثة (رومية ٩ و ١٠ و ١١)؟ بالطبع كلا، فهؤلاء لا علاقة لهم لا من قريب ولا من بعيد بنسل إسرائيل. ولهذا لا نستطيع القول إذا آمن اليوم أي شخص من هؤلاء بالمخلص المسيح، أنه أتى من أصل إسرائيلي، وينطبق عليه ما كتبه الرسول بولس في هذا المجال. لأن الإسرائيلي يجب أن يكون أولاً من نسل إبراهيم بحسب الجسد، لكي ينطبق عليه ما دونه الرسول بولس في هذه الأصحاحات.

ثالثاً: لقد كان الرسول بولس يعالج في هذه الأصحاحات موضوع شعب إسرائيل وعلاقته بالله بعد مجيء المخلص المسيح. ولهذا كان من المتوقع أن يتحدث عن الوعود والبركات الأرضية لشعب إسرائيل، كما فهمها اليهود. أي كانت هذه الأصحاحات هي المكان المناسب للحديث عن هذا الموضوع. لكن المفاجأة كانت أن الرسول بولس لم يتطرق بتاتا إلى هذا الموضوع. بل على العكس تماما، كان كل بحثه ونقاشه يتركز ويدور حول موضوع الخلاص بالمسيح. فلم يتحدث الرسول بولس عن أية وعود أو بركات أرضية تتعلق بإسرائيل، أو أية مميزات خاصة بالنسبة له، ولم يشر إليها لا من قريب أو من بعيد. فلو كانت توجد أية وعود أو بركات أرضية لإسرائيل لا بد أن يحققها الله في المستقبل، فكان الأجدر بالرسول بولس أن يأتي على ذكرها هنا وهو يعالج موضوع إسرائيل وعلاقته بالله. لا بل إن الرسول بولس لم يأت على ذكر أرض فلسطين، أو رجوع اليهود إليها. لأن هذا الموضوع لم يعد له أي اعتبار بعد مجيء المخلص المسيح وإتمامه لعمل الخلاص، وتحقق كل النبوءات والمواعيد في شخصه وعمله الكفاري وقيامته المجيدة من بين الأموات، وصعوده حيا إلى السماء، وجلوسه عن يمين عرش العظمة في مركز القوة والسلطان، **وبدئه لملكوت الله.**

رابعاً: لم يأت الرسول بولس في هذه الأصحاحات الثلاثة على ذكر أي حادث مستقبلي يختص باليهود أو له علاقة بهم، كما يدعي الكثيرون من المعلمين اليوم. كانتهاء عصر الكنيسة وعهد النعمة، واختطاف الكنيسة، وارتفاع الروح القدس، والضيقة العظيمة، وتعامل الله مع إسرائيل بشكل خاص أثناء هذه الضيقة، وخلاص البعض منهم خلالها، وبناء الهيكل، ومعركة هرمجدون، والحكم الأنفي الحرفي للمسيح على الأرض. فإذا كانت هذه الأحداث مهمة جدا بالنسبة لمستقبل إسرائيل، فلماذا لم يأت الرسول بولس على ذكرها بتاتا هنا؟ إنه سؤال هام أطره على أولئك المعلمين، وأنتظر إجابتهم عليه.

خامساً: أثناء حضوري أحد الاجتماعات، أكد أحد معلمي الكتاب المعروفين في عظته، أنه يوجد شعبان لله، شعب سماوي هو كنيسة المسيح، وشعب أرضي هو إسرائيل. وعندما ذهبت إليه بعد الاجتماع سائلاً: أين يوجد هذا الكلام في العهد الجديد؟ ولدهشتي أجاب وبدون أي تردد: في رسالة رومية ٩ و ١٠ و ١١. أجل في رسالة رومية ٩ و ١٠ و ١١ أكد الرسول بولس العكس

تماماً. فهو أكد على وجود زيتونة واحدة، وعلى وحدة شعب الله من اليهود والأمم في كنيسة المسيح. لا بل أسهب في الشرح عن قطع الأغصان الطبيعية وتطعيم الأغصان البرية في هذه الزيتونة الواحدة. ثم تحدّث عن ملء الأمم وملء إسرائيل، على أساس أنهما شعب واحد لله لا شعبان. وأكد أن الخلاص سيكون عن طريق المخلص المسيح فقط، وبشارة الإنجيل المفرحة، التي هي بالمناسبة، نفسها بشارة الملكوت. وأن هذا الأمر سيحصل في هذا الدهر، وليس في فترة زمنية منفصلة في المستقبل خاصة بإسرائيل. فأين الحديث عن وجود شعبين لله في هذه الأصحاحات؟ حقا لا أدري. وسنرى المزيد من الأدلة عن وحدة شعب الله في الحلقة القادمة. إلى هنا انتهت الإضافة للموقع الإلكتروني.

نعود الآن إلى الحلقة الإذاعية: وكعادته وليدعم حجته اقتبس الرسول بولس من العهد القديم ومن سفر النبي إشعياء، ليؤكد أن المنقذ أو المخلص المسيح سيأتي ويرد الفجور عن يعقوب. أي سيغفر آثام كل إسرائيل الحقيقي، الذي سيؤمن به. فكتب في العدد ٢٦ قائلا: "كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب." وهنا كان النبي إشعياء بالطبع يتنبأ عن المجيء الأول للمسيح، وليس عن مجيئه الثاني. وهو ما سيتبين لنا بوضوح أكثر في الحلقة القادمة عندما نشرح الأعداد التالية. فلقد أتى المسيح وقام بعمل التكفير عن الخطية بموته على الصليب، وصار هو المنقذ الحقيقي للإنسان الخاطئ، وكل من يؤمن به ينال غفران خطايا. ويعقوب هنا هو الاسم الآخر لإسرائيل. وبمعنى آخر أراد الرسول بولس تأكيد كلامه عن خلاص جميع إسرائيل المختار، بهذه الآية التي تنبأ بها النبي إشعياء عن خلاص يعقوب. ولا بأس هنا أن نعود إلى نص الآية كما دونها النبي إشعياء: "ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب يقول الرب." (إشعياء ٥٩: ٢٠) فنلاحظ أن النبوءة هنا استخدمت لقب الفادي، وهو إشارة إلى عمل الفداء الذي سيقوم به المخلص المسيح في مجيئه الأول. وأيضا قول النبوءة أن الفادي سيأتي فقط إلى التائبين عن المعصية في يعقوب، وليس إلى كل يعقوب. أي إلى جميع إسرائيل الحقيقي المختار من قبل الله، كما فسّر لنا الرسول بولس وبوحي من الروح القدس.

ألا ترغب مستمعي العزيز أن تكون من أولئك المخلصين الحائزين على غفران الذنوب؟ لم لا تأتي اليوم تائبا عن ذنوبك ومؤمنا بالمخلص المسيح؟ وهكذا تصبح من أولاد الله ومن شعبه.